الفصل الرابع

المدرسة والمجتمع

لم يقتصر امر المدرسة على امداد المدارس الحكومية وغيرها بما تحتاج اليه من مدرسين متخصصين فى الآداب والعلوم والرياضيات فحسب بل كانت مركزا للبحث العلمى اختص بمسائل التربية والتعليم [1] ، وطرق تطويرها وملاحقتها لكل جديد ، والخروج بها من القوالب الجامدة الى تطبيق الخبرات المتطورة التى وصلت اليها دول العالم المختلفة .

يضاف الى ذلك قيام خريجيها بفضل ثقافتهم المتنوعة بالمشاركة فى كل محاولة تهدف الى اصلاح الوطن وتقدمه وملء ما كان ينقصه من كوادر فاسهموا فى اقامة أركان النهضة العلمية الوليدة فى مصر ، ونهضوا ببعض التبعات نهوض المستنير الذى يحسن تقدير الأمور فكانت المدرسة وبحق قبلة الأنظار . وقد وصفها على باشا ابراهيم ناظر المعارف وقت تاسيسها بانها « من اعظم احتياجات الاهالى لتسهيل انتشار المعارف بينهم ، وأن هدفها الأول هو صناعة المعلم » .

كما ذكر المؤرخ شفيق غربال أن اسباب اختياره للدراسة بها يرجع الى « انها المعهد الذى يصله بالدراسات الانسانية » .

وفيما يلى نعرض لدور المدرسة فى خدمة المجتمع من النواحى العلمية والثقافية وفى الحركة الوطنية .

اولا : دور المدرسة العلمى والثقافى :

كفلت المدرسة لطلابها صورة مميزة ومختلفة تماما عن الصورة الأزهرية التى كانت تحتل مكانا اساسيا فى مناهج التعليم فى مصر فى ذلك

---

(١) صحيفة التربية : العدد الأول ، نوفمبر ١٩٦٨ ص ٢٩ .

الوقت ، وأعدت للمجتمع الكوادر اللازمة لشغل الوظائف القيادية ، واصلاح أحوال التعليم والمشاركة فى التوسعات التى طرأت عليه فحين فكرت الحكومة فى انشاء مدرسة للتجارة العليا وجدت من خريجها من يصلحون لتولى أمور التدريس بها (٢) .

وعندما تأسست الجامعة المصرية كان من خريجى هذه المدرسة من استطاعوا مع خريجى دار العلوم تولى حركة التدريس فيها بل أن من خريجى المعلمين العليا من استطاعوا بفضل ما هياتهم به تلك المدرسة ان يحتفظوا بمنصب الاستاذية فى الجامعة ويكفينا ان نذكر أن من هؤلاء بعض المؤرخين أمثال محمد شفيق غربال ومحمد فؤاد شكرى ، وعبد الحميد العبادى وبعض الجغرافيين أمثال محمد عوض محمد ، ومصطفى عامر .

والى جانب ذلك فان المدرسة قد خرجت للمجتمع من العلماء والنبهاء من ساعده على التطور ، وكانت لهم اسهاماتهم الواضحة فيه ومن هؤلاء نذكر العالم الكيميائى الدكتور احمد زكى الذى حصل على شهادة المعلمين العليا فى عام ١٩١٤ وأكمل دراسته العليا ببريطانيا وبعد عودته الى مصر عين بالجامعة ثم تدرج فى مناصب عدة كان أبرزها تعيينه مديرا للمركز القومى للبحوث ثم وزيرا الشئون الاجتماعية ثم مديرا لجامعة القاهرة فى عام ٥٢ — ١٩٥٤ وعضوا بمجمع اللغة العربية ، والى جانب ذلك فقد كانت له بحوثه العلمية المنشورة فى المجلات المتخصصة ، كما كان لاسلوبه الأدبى فى معالجة الموضوعات العلمية الفضل الكبير فى اشاعة العلم بين المواطنين (٣) ، ونذكر الاديب الشهير محمد فريد أبو حديد الذى تخرج من مدرسة المعلمين العليا وتقلب فى عدة وظائف هامة ، فكان وكيلا لدار الكتب المصرية ، وعميدا لمعهد التربية ، وهو أحد المؤسسين للجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤ وقد اختاره مجمع اللغة

---

(٢) من أبرز الاساتذة الذين عملوا بهذه المدرسة الدكتور محمد عوض محمد .

(٣) د. محمد مهدى علام : مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما : المجمعيون ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٦ — ٣٧ .

العربية عضـــوا به فى سنة ١٩٤٦ كما اسندت اليه رئاسة تحرير مجلـة الثقافـــة .

وللاستاذ فريد نشاط كبير فى الكتابة ، امد به المكتبة العربية بالعديد من الكتب فى القصة والتربية وفى التاريخ (٤) .

ونذكر المؤرخ عبد الحميد العبادى الذى تخرج من المدرسة فى عـام ١٩١٤ وكان عضـــوا مؤسسا بلجنة التاليف والترجمة والنشر ، وعضـــوا مؤسسا بمجلس ادارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، كما ضمه مجمع اللغة العربية الى اسرته فى عام ١٩٥١ . وله العديد من المقـالات والبحوث التى نشرت له فى الصحف والمجلات كما أن له عدة كتب بعضها ترجمة وبعضها تاليف .

والاستاذ مصطفى عامر الذى تخرج من المدرسة فى عـام ١٩١٧ ، واتم دراسته فى جامعة ليفربول حيث نال الماجستير فى الجغـرافيا عـــام ١٩٢٣ وبعـد عودته الى مصر عين مدرسا بالمدرسة ثم نقل الى كليـة الآداب بالجامعة المصرية عند نشأتها فى عام ١٩٢٥ ، وتدرج فى ســـلك التدريس الجامعى الى ان شغل كرسى الجغرافيا كما عين وكيلا لجامعـة فاروق (الاسكندرية) ثم وكيلا لجامعة فؤاد الأول (القاهرة) وتقلب بعد ذلك فى العديد من المناصب منها تعيينه مديرا لمصلحة الآثار فى عام ١٩٥٣

ولم يقتصر دور الاستاذ مصطفى عامر العلمى داخل حدود وطنه بل شارك فى تاسيس جامعة الرياض التى تعـد أول جامعة فى المملكة العربية الســـعودية .

ومن ابرز اهتماماته دراسة عصر ما قبل التاريخ بمصر أما عن مؤلفاته فابرزها « مصر كما رآها أحد الرواد الأوربيين فى القرن الثـامن عشر » و « المقومات الجغرافية للعالم العربى » .

ونذكر الدكتور محمد عوض محمد الذى تخرج من المدرسة فى عام ١٩٢٠ وارسل فى بعثة دراسته الى انجلترا للتخصص فى الجغرافيا وبعد

---

(٤) نفســـه ص ١٨٨ .

عودته الى مصر تدرج فى العديد من المناصب بالجامعة كان آخرها تعيينه مديرا لجامعة الاسكندرية ، ثم وزيرا للمعارف ومن ابرز مؤلفاته نهر النيل، وسكان هذا الكوكب ، والسودان الشمالى ، والسودان ووادى النيل ، والاستعمار والمذاهب الاستعمارية والشعوب والسلالات الافريقية والعديد من المؤلفات الاخـرى التى تجمع بين اللذة العلمية والأدبية ، والى جانب ذلك فقد قام بترجمة بعض روائع الادب الالمانى فهو الذى ترجم « فاوست » للشاعر الالمانى جيته وترجم رواية « هرمان ودروتيه » لشاعر جيته أيضا.

ونذكر الدكتور عباس عمار الذى تخرج من المدرسة فى عام ١٩٢٦ واختير مستشارا لوفد مصر فى أثناء عرض القضية الوطنية فى مجلس الأمن سنة ١٩٤٧ ، وشغل منصب المدير العام لادارة الوصايا فى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ وعين مديرا لمصلحة الفلاح ثم مديرا عاما للمركز الدولى للتربية الاساسية والى جانب ذلك عين نائبا لمدير منظمة العمل الدوليـة بجنيف (٥) .

ومما يجسب لهذه المدرسة انها شاركت بقسط وافـر فى توجيـه السياسة التعليمية للبلاد بما قدمته فى لجان وزارة المعـارف من آراء ، وما اشترك فيه اساتذتها من تأليف كتب ومقررات لمدارسها ومنها قيـام بعض هؤلاء الأساتذة بالمشاركة فى عقد المؤتمرات الخاصة بدراسة أحوال التعليم (٦) .

والجدير بالذكر انه كان لهذه المدرسة فضل كبير فى تشجيع الازهريين على اعادة النظر فى مناهجهم بعد أن خشى القائمون على الازهر من تقاص شأنه الثقافى بعد أصبحت وزارة المعارف تجد البدائل عنهم فى مدارسـها

---

(٥) وزراء التعليم فى مصر ص ١٣٩ .

(٦) نذكر على سبيل المثال مشاركة محمد شفيق غربال ، واحمد فهمى العمروسى ، وحبيب جورجى ، ومحمد رفعت المدرسين بالمدرسة فى مؤتمر التعليم الأولى الاجبارى الذى عقد بالقاهرة فى يوليو ١٩٢٥ للتفاصيل انظر : أحمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى ، القاهرة ، مطبعـة مصر ، ١٩٤١ ص ١٤١ — ١٤٧ .

فبدأوا فى تعديل انظمتهم حتى تحولت مدارس الازهر ومعاهده الى كليات جامعة كانت النواة التى نشأت عليها جامعة الأزهر بعد ذلك (٧) .

يضاف الى ذلك ان هذه المدرسة فتحت للمثقفين الوطنيين بابا للاستزاده من العلم والثقافة وترقية عقولهم ومداركهم عن طريق الانتساب اليها فأنشأت قسما ليليا سمح فيه بالالتحاق لمن يرغب فى الظفر بالشهادة التى تتيح له النهوض بالتعليم (٨) .

ثانيا : دور المدرسة فى الحركة الوطنية ومواجهة الاحتلال :

على الرغم من العوائق التى تعرضت لها المدرسة فى أعقاب انشائها نتيجة للأحداث السياسية والاجتماعية التى اجتاحت مصر فى أعقاب قيام الثورة العرابية والنتائج التى ترتبت عليها ، ومحنة الاحتلال وضغوطه من اجل نجلزة الادارة والدراسة بالمدرسة ، ومحاربته للثقافتين الفرنسية والعربية معا فقد واصلت المدرسة أداء رسالتها الوطنية ، وشارك طلابها وخريجوها فى الحركة الوطنية بصورة او بأخرى احساسا منهم بواجبتهم نحو مشاركة ابناء وطنهم فى أفراحهم واتراحهم والأمثلة على ذلك عديدة نذكر منها ما يلى :

١ — خروج طلاب المدرسة تاركين دروسهم فى صبيحة يوم ١١ فبراير ١٩٠٨ للاشتراك فى تشييع جنازة الزعيم مصطفى كامل حيث مشوا فى مقدمة المشيعين رافعين علم مدرستهم المجلل بالسواد وقد وصف قاسم امين مشهد الجنازة فأوضح أنه لم ير قلب مصر يخفق سوى مرتين الأولى يوم تنفيذ حكم دنشواى والثانية كانت يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل (٩) .

---

(٧) الجدير بالذكر أن القانون رقم ٤٩ لعام ١٩٣٠ والخاص باعادة تنظيم الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية كان خطوة هامة فى سبيل اصلاح الجامعة الأزهرية .

أنظر : مضابط مجلس النواب ، محضر الجلسة الثالثة والاربعين فى ١٠ أبريل ١٩٣٣ ص ٨٥٨ .

(٨) طه حسين : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٥ .

(٩) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٢ ص ٢٧٥ .

٢ — نتيجة لتولى السلطان حسين كامل عرش مصر بناء على طلب الانجليز ورغبتهم فقد كان موقف طلبه المدرسة منه يعبر عن تحديهم له ، ورفضهم زيارته لمدرستهم ، بتغيبهم عن الدراسة يوم زيارته للمدرسة ، مما دفع السلطان الى القول عنهم « بانهم تجاوزوا كل حد من الوقاحة وقلة الأدب » (١٠) .

٣ — اشتراك بعضهم فى محاولة قتل السلطان حسين كامل ، وتاييد بعضهم الآخر لهـذه المحاولة والتحدث فيما بينهم عن القائمين بها بوصفهم ابطالا وطنيين (١١) .

٤ — على الرغم من سياسة الضغط والارهاب التى مارستها سلطات الاحتلال ضد معارضيها فقـد اشتغل بعض طلاب المدرسة بالحركة الوطنية، مضحيين بأرواحهم فى سبيل الوطن مما جعل الحكومة تصفهم بانهم خطرون على الأمن العام وتقوم بمعاقبتهم بالفصل من المدرسة كما حدث مع الطالبين محمد صبرى منصور ، ومحمد عوض محمد اللذين قررت وزارة المعارف فصلهما من المدرسة وحرمانهما من الامتحانات العمومية بحجة اشتغالهما بالسياسة بطريقة يخشى منها على الأمن العام والى جانب ذلك فقد اعتقلت السلطات البريطانية الطالب محمد عوض محمد وهو فى السنة النهائيـة بسبب نشاطه العدائى للاحتلال فنفته الى جزيرة مالطة (١٢) مما ادى الى تعطيله عن الدراسة حوالى اربع سنين ، فلم يحصل على دبلوم المعلمين الا فى عام ١٩٢٠ (١٣) كما اعتقلت الحكومة الطالب احمد عبده الشرباصى (١٤) الذى اشترك فى مظاهرات ١٩١٩ وسجنته فى القلعة وامرت بحرمانه من الامتحان وفصله من المدرسة نهائيا مما دفعه الى الالتحاق بمدرسة الهندسة بعد ذلك وتخرجه مهندسا (١٥) .

---

(١٠) مذكرات سعد زغلول جـ ٥ ص ٦٩ .
(١١) El good . The Transit of Egypt, London 1928, P. 220.
(١٢) محمد سيد كيلانى : السلطان حسين كامل — صفحة مظلمة فى تاريخ مصر ، طرابلس ، دار الفرجانى ، د.ت ص ١٢٣ .
(١٣) مهدى علام : مرجع سابق ص ١٨٥ .
(١٤) التحق بالمدرسة فى عام ١٩١٨ .
(١٥) عين وزيرا للاشغال فى عهد الثورة ، كما عين وزيرا للاوقاف . انظر : المجمعيون ص ٣٨ .